حول النشاط الفرنسي في شمال العراق(١٩٣٩-١٩٤٠) دراسة في الوثائق العراقية

عبد التواب احمد سعيد
كلية الاداب – جامعة الموصل

« مقدمة »

سعت فرنسا في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، الى إحكام سيطرتها على اجزاء من المشرق العربي لتؤمن مصالحها وتبسط نفوذها لمدة طويلة من الزمن ، فبادرت الى اقامة كيانات ودويلات عديدة شكلت خطراً على مستقبل المنطقة.

وسوف نسلط الضوء في هذا البحث على مسعى من المساعي الفرنسية ، لنكشف بالوثائق ، محاولة خطيرة ، لم يكتب لها النجاح ، للسيطرة على الجزء الشمالي الغربي من العراق عند الحدود مع تركيا وسوريا ، وفي فترة حرجة من تأريخ العراق المعاصر .

استند البحث استناداً اساسياً الى عدد قليل من الوثائق العراقية البالغة الاهمية ، واعتمد ايضاً على مصادر اخرى توضيحية ، راجيا ان يضيف معلومات جديدة ومفيدة الى تأريخ العراق المعاصر .

انعقد مؤتمر السلام في باريس عام ١٩١٩ وحضره وفد عربي كان نوري السعيد احد اعضائه ، حيث قدم مذكرة لمندوبي الدول الأربع الكبرى . وهي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وايطاليا ، تضمنت « شكوى عربية من محاولات فرنسية الفصل بين العراق وسوريا انطلاقاً من سياسة استعمارية محكمة » (١) . فكانت تلك المذكرة اول اشارة عربية – بعد الحرب – الى وجود خطر فرنسي على وحدة العرب .

وفي آب ١٩٢٠ ، وقع السلطان العثماني محمد السادس ، على معاهدة سيفر دون رغبة منه ، فقد تضمنت بنوداً منها إعلان استقلال ارمينية ، وحماية الاقليات او منح الحكم الذاتي للاكراد .. غير ان الوطنيين الأتراك

١) مذكرات رستم حيدر ، تحقيق نجدة فتحي صفوة ، بيروت ، ١٩٨٨ ص ٤٢٣ .

عقدوا معاهدة مع فرنسا في تشرين الأول في عام ١٩٢١ ضمنت لتركيا حدوداً مناسبة ولفرنسا حقوقاً وامتيازات اقتصادية ، مع تفرغ تام لمواجهة الحكومة العربية في دمشق برئاسة فيصل بن الحسين ، واصبحت معاهدة سيفر غيـــر ذات شأن بعد التطورات التي حدثت في تركيا وادت الى بروز دور مصطفى كمال ، ومن ثم التوقيع على معاهدة بين تركيا والحلفاء في لوزان بسويسرا في تموز ١٩٢٤ ، وكانت لصالح تركيا (١) .

وقد حصلت فرنسا على مناطق نفوذ وامتيازات عديدة واحتلت بريطانيا أجزاء من المشرق العربي وإتفقت مع حليفتها ومنافستها فرنسا على مستقبل العراق وسوريا حيث إتفقتا على تشكيل دولة عربية في سوريا الداخلية وولاية الموصل مع أفضلية اقتصادية وسياسية لفرنسا ، ثم تنازلت عن الموصل بعـد حصولها على استثمارات نفطية في العراق (٢) .

ولم تكن تلك الاتفاقات بين فرنسا وبريطانيا ، تعني ان سياساتهما واحدة، فقد ظهرت المنافسة بينهما بعد وقت قصير وتخوفت فرنسا من مخططات ، بريطانيا التي سعت الى دمج سوريا بدولة عربية واسعة في المشرق تحكمهـا اسرة الشريف حسين بن علي الهاشمي وتكون خاضعة للنفوذ البريطاني (٣) .

---

(١) ابراهيم خليل احمد و خليل علي مراد ، ايران وتركيا دراسة فـي التأريخ الحديث والمعاصر (الموصل ١٩٩٢) ص ص ٢٣٤ – ٢٣٧ .
وعن مصطفى كمال اول رئيس للجمهورية التركية (ولد عام ١٨٨٠ وتوفي عام ١٩٣٨ انظر .
احمد نوري النعيمي السياسة في تركيا الحديثة ١٩١٩ – ١٩٣٨ بغداد ١٩٩٠ ص ص ١٤ – ١٨ وفيه قائمة متنوعة من المصادر عن شخصية مصطفى كمال اتاتورك .
وحول معاهدات السلام عموماً انظر فشر : تأريخ أوربا في العصر الحديث ص ٥٤٧ – ٥٨٦

(٢) علي محافظة : موقف فرنسا وايطاليا من الوحدة العربية ١٩١٩ – ١٩٤٥ (بيروت ١٩٨٥) ص ٤٢ ، ص ٧٣ .

(٣) المصدر نفسه ص ص ١٢١ – ١٢٣

ان نظرة إلى تلك الفترة تريناً ارتباط فرنسا بسياسة استهدفت البقاء في المشرق العربي ، والحفاظ على مصالحها في وجه منافسات القوى الاخرى ، والعمل لصالح الاقليات ، ومنع قيام وحدة بين الدول العربية (التي كان العراق من ابرز العاملين على تحقيقها) ، وضمان صداقة اطراف معينة تفيد منها مستقبلاً ، وتنفيذ سياسة راسخة تجاه سوريا بعد احتلالها وتقسيمها إلى وحدات سياسية وادارية صغيرة (١) .

وللوصول إلى تلك الأهداف سعت فرنسا إلى التفاهم مع تركيا التي ارتبطت معها بعلاقات طويلة امتدت قروناً من الزمن ، فكسبت ودها وارضتها سياسياً وعسكرياً ، واتضح ذلك بصورة كبيرة مع بداية النهوض الالماني الجديد بظهور النازية في المانيا بقيادة هتلر ، وادت تلك العلاقات المتطورة إلى استغلال تركيا للظروف وقيامها باعتداءات عسكرية ضد منطقة الجزيرة السورية بعد عام ١٩٣٥ تمهيداً لاتفاقها مع فرنسا بشأن لواء الاسكندرونة ذلك الاتفاق الذي تم عام ١٩٣٨ وادى بعد عام واحد إلى ضم اللواء إلى تركيا (٢).

لقد كان ضم الاسكندرونة إلى تركيا وبتأييد فرنسي ، خطوة اخرى قربت تركيا نحو الغرب ، وأساءت إلى العلاقات العربية التركية على الرغم من ان تركيا بادرت إلى اتخاذ اجراء سليم من وجهة النظر العربية تمثل في رفضها الحاسم لعرض صهيوني باسكان اعداد من اليهود في لواء الاسكندرونة كما تشير بعض المصادر (٣) .

---

(١) محافظة : لواء الأسكندرونة ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٣ (بغداد ١٩٨٣) ص ص ٨٥ — ٩٠ .

(٢) محافظة : المصدر الاسبق (موقف فرنسا ....) ص.ص ١٠٥ — ١٢٠ انظر ايضاً : ابراهيم خليل احمد : المصدر السابق ص ٢٥٥ .

(٣) محافظة :فرنسا ص ١١٢ وانظر ايضاً : ناجي شوكت :سيرة وذكريات (بيروت ١٩٧٧) ص ص ٢٨٩ ، ٢٩٤ .

ان ما يهمنا من الموقفين التركي والفرنسي هو سياسات الدولتين تجاه سوريا والعراق ، فقد ادى الاجراء التركي إلى تأكيد الاطماع الفرنسية في سوريا وسعي فرنسا إلى تجزئتها ، وحماية الاقليات فيها ، وتأليف جمعيات سياسية لتلك الاقليات في حلب والجبل وشمال الجزيرة ، بهدف مقاومة الاستقلال والوحدة ومعاداة سوريا والعراق (١) .

ثانياً : العراق والتطورات العامة في المنطقة بين ١٩٣٢ — ١٩٣٩

تستوقف المهتمين بالتاريخ العراقي المعاصر ، نشاطات وتحركات الملك غازي (١٩٣٣ — ١٩٣٩ ،)تلك النشاطات التي اتسمت بالحماس القومي ، ومحاولة الوقوف إلى جانب فلسطين وسوريا وتأييد تطلعاتهما في الاستقلال والوحدة ، مما عزز شعبيته وساهم في الوقت نفسه بالاضرار الواضح بعلاقاته مع بريطانيا وفرنسا ايضاً ، خاصة بعدما رفع شعارات ، وادلى بتصريحات تعلقت بسوريا وتعسف الفرنسيين مع شعبها ،مما ساهم في حدوث هياج شعبي عراقي ضد فرنسا في منتصف الثلاثينيات وازداد بعد التواطؤ الفرنسي مع تركيا بشأن لواء الاسكندرونة (٢) .

وقد رغبت تركيا خلال تلك الحقبة ، في ان يكون اهتمام العراق موجهاً نحو الخليج العربي وشؤونه وتطوراته ، اكثر من اهتمامه بشؤون سوريا وأوضاعها وبما يتلاءم ومصالح تركيا وتوجهاتها فقد كانت تخطط لضم الاسكندرونة اليها ،لذلك لم يكن من مصلحتها قيام اي تقارب عراقي سوري قد يؤدي إلى وحدتهما ومن ثم الاضرار بالمخطط التركي (٣) .

---

(١) دار الكتب والوثائق ، ملف رقم ٧٢٠ / ٣١١ ، تقرير الوزير المفوض العراقي في انقرة ، آب ١٩٣٦ .... انظر ايضاً ملف رقم ٧٥٣ / ٣١١ ، فيما يشير تقرير آخر الى ان تركيا رغبت في عدم تشتيت شمل سوريا لذلك انزعجت من سياسة فرنسا في سوريا.

(٢) لطفي جعفر فرج : الملك غازي (بغداد ١٩٨٧).ص ص ٢٠٣ — ٢٠٥ .

(٣) عوني عبد الرحمن السبعاوي العلاقات العراقية التركية ١٩٣٢ — ١٩٥٨ (الموصل ١٩٨٦) ص ٣٧ — ٣٨ .

ان المتتبع للتطورات في تلك الفترة يلاحظ تنبه السياسيين والدبلوماسيين العراقيين للمخاطر التي يمكن ان تنجم عن توجهات تركيا ، وضرورة العمل الدؤوب لتحسين العلاقات معها بما ينسجم والمصالح الوطنية والقومية للعراق ، وفي هذا المجال نجد دبلوماسياً عراقياً في تركيا يحذر مبكراً من نتائج التوجهات التركية باشارته إلى ان «حصول تركيا على الاسكندرونة سيكون خطوة اولى نحو تعديل الحدود التركية الجنوبية للحصول على نفط الموصل، او ربما الحاق لواء الموصل بتركيا ، او الاتجاه نحو علاقات معينة مع الاكراد لصالح النفوذ التركي وبما ينسجم تماماً مع (حقوق) بريطانيا في نفط الموصل» (١) .

هذا النص مهم جداً لانه يظهر الخطر الذي كان يهدد سلامة العراق وأمنه وارضه وشعبه ، كما انه يظهر طبيعة السياسة الغربية ، ومعها التركية احياناً ، تجاه العراق ، البلد المتحالف آنذاك، مع الغرب والمرتبط بعلاقات حسن الجوار مع تركيا ، غير ان الظروف والتطورات جاءت لصالح العراق وحالت دون تنفيذ خطوة مؤذية بل خطيرة ، فظلت ضمن حيز محدود ، لكن الحكومة العراقية شعرت بالقلق من طرح مشاريع وخطط ضارة بالعراق وشكلت عبئاً ثقيلاً عليها مع احتمال ان يكون طرح مثل تلك المشاريع قد استهدف الضغط على العراق ليزيد من روابطه مع الغرب وتركيا ايضاً ، على ان العراق اظهر تمسكه بروابطه مع بريطانيا التي سعت إلى اقامة احلاف عسكرية في الشرق الاوسط لحماية مصالحها فتقاربت مع تركيا وشجعت دولاً اخرى على عقد ميثاق (سعدآباد) حيث تم التوقيع عليه في طهران في اليوم الثامن من تموز ١٩٣٧ وضم إلى جانب تركيا كلا من العراق وايران وافغانستان ، وقد ارضى الميثاق بريطانيا ، بطبيعة الحال ، غير ان العراقيين نظروا اليه بقلق وعدم رضا

---

(١) د. ك . و ملف رقم ٧٢٠ /٣١١ تقرير المفوضية العراقية في انقرة بتأريخ ١/١١ / ١٩٣٧ .

بسبب الخوف من ان يسمح لتركيا بالتوسع الاقليمي على حساب العراق وسوريا (١) .

ومن الملاحظ هنا وجود قلق عراقي مستمر على الصعيدين الرسمي والشعبي من احتمالات مواجهة تحرك تركي او فرنسي او كليهما معاً، لاحتلال او ضم اجزاء من الاراضي العراقية ضمن مد النفوذ والبحث عن المصالح ، مع استغلال عناصر معينة (قد) تقبل التعاون مع اطراف دولية لتحقيق اهدافها في ظرف معين والحاق الاذى بوحدة العراق الوطنية وابعاده عن قضايا الامة العربية .

لقد ضمت تركيا لواء الاسكندرونة استغلالاً لوجود اقلية تركية فيه وبدعم سياسي من دولة كبرى (فرنسا) ؛ وتمكنت الاقلية الألمانية في منطقة السوديت الجيكية ان تحصل على مطالبها اعتماداً على الدعم الألماني النازي القوي وذلك عام ١٩٣٨ ، وعلى الرغم من ان التطورين بعيدان عن العراق ؛ فقد زادا من القلق العراقي إذ قد يحدث ما يشبه ذلك في بلد كالعراق يضم اقليات تجد من يدعمها ويساعدها من الدول الكبرى (٢) .

وقد كان تحرك العراق لدرء ذلك يقظاً وسريعاً فعندما تمرد البارزانيون في شمال العراق في آب ١٩٣٥ قام مسؤولون عراقيون باجراء اتصالات ومشاورات مع مسؤولين اتراك لدراسة الوضع والتصرف الذي تمليه المصلحة العامة كما جرت اتصالات مماثلة في نهاية ذلك العام بعد حدوث تمرد آخر قام به اليزيديون في

(١) سعاد رؤوف شير : نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٤٥ (بغداد ١٩٨٨) ص ٧٨ .
وحول ميثاق سعد آباد وما احاط به من مواقف ... انظر
ناجي شوكت : المصدر السابق ص ٢٧٣ ، السبعاوي : المصدر السابق ص ٣٦ ، نوري احمد عبد القادر : الموصل والحركة القومية ١٩٢٠ — ١٩٤١ رسالة ماجستير غير منشورة (الموصل ١٩٨٨) ص ٢٢٧ .

(٢) لوكا زديرزويز المانيا الهتلرية والشرق العربي : ترجمة د . احمد عبد الرحيم مصطفى (القاهرة : ١٩٦٨) ص ٦٥ — ٦٧ .

منطقة سنجار (قرب الموصل) وأخمدته القوات المسلحة العراقية بسرعة (١) .

ثالثاً : العراق وتركيا والمناورات الفرنسية

حدثت تطورات داخلية في العراق بين سنة ١٩٣٥ و ١٩٣٧ تمثلت بالتمردات العديدة التي اشرنا إلى بعضها وقيام انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦ ، وقد راقبت تركيا تلك التطورات بنشاط ولم تظهر ارتياحاً لما كان يحدث ، وبادرت إلى تقديم مشورتها للعراق من اجل اعادة الهدوء والاستقرار للعراق (٢) .

ومع اقتراب العالم من الحرب عام ١٩٣٩ ؛ بدأت اوساط عراقية تتحسس مخاطر / جمة وتستجيب لها بتحرك مناسب ، من ذلك مثلاً قيام الوزير المفوض العراقي في انقرة بمقابلة وزير خارجية تركيا في نيسان من ذلك العام حيث اشار المسؤول التركي إلى حالة سوريا وهي حالة سيئة كما تريد فرنسا ، وان بلاده لا تطمع باي جزء من سوريا عامة وحلب على وجه الخصوص (٣) .

واستمرت الاتصالات العراقية مع تركيا في وقت ازدادت فيه المخاوف العراقية من محاولات كانت تجري لاشاعة جو من عدم الاستقرار في شمال غرب العراق تغذيه فرنسا ، إلى جانب القلق والحذر من تحركات تركية باتجاه سوريا ، وصلة ذلك بالنشاط الفرنسي المعلن والسري في المنطقة .

وتزايد النشاط الفرنسي السيء إلى العراق ، ففي ٢٨ تشرين الاول ١٩٣٩ ، وجه ديوان مجلس الوزراء العراقي مذكرة إلى وزارة الخارجية ، اوضح فيها اهتمام رئيس الوزراء نوري السعيد بما جاء في تقرير القنصل العراقي في حلب بشأن النشاط الذي ابداه الفرنسيون هناك واستهدف اسكان الأرمن في منطقة قريبة من حدود العراق الشمالية الغربية عند تل كوجك ومدن صغيرة اخرى قريبة منها ، وان رئيس الوزراء سارع إلى توجيه تعليماته إلى وزارة الخارجية لكي تجرى اتصالات فورية مع وزير تركيا المفوض في بغداد وتبلغه بنوايا

(١) لطفي جعفر فرج : المصدر السابق ص ١٠٧ ، ١٨٧ ، شوكت ، المصدر السابق ص ٢٧٣ .

(٢) السبعاوي : المصدر السابق ص ٣٣ .

(٣) د . ك . و ، ملف رقم ٧٢١ / ٣١١ في ٢١ / ٤ / ١٩٣٩

الحكومة الفرنسية الخاصة باسكان الأرمن والمخاطر التي قد تنجم من وضع غير مريح ليس للعراق وحده بل لتركيا أيضاً ، مع اقتراح بقيام الحكومتين العراقية والتركية بالفات نظر الحكومة الفرنسية الى نواياها السيئة (١) .

ان ذلك التحرك الفوري للحكومة العراقية من خلال رئيسها ، دليل على بعد النظر العراقي واهمية المسألة التي وجد المسؤولون العراقيون انها ذات اهمية مشتركة مع تركيا ، وعلى اي حال فان وزارة الخارجية العراقية ردت على توجيهات رئيس الوزراء خلال زمن مناسب بالتأكيد على مقابلة وزير تركيا المفوض في بغداد يوم ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٩ وابلاغه بانباء التحركات الفرنسية المريبة على الحدود العراقية السورية التركية ومنها اتصالات الفرنسيين بالاثوريين وبعض المشاغبين في منطقة الموصل (٢) .

ومع ان المسؤول العراقي لم يعط الدبلوماسي التركي معلومات حول هوية (المشاغبين) ؛ فإنه اطلع الوزير المفوض التركي على معلومات تشير الى قيام السلطات الفرنسية باقامة مقر لهؤلاء في منطقة الجزيرة العليا عند الحدود العراقية التركية . واستمرار الفرنسيين بارسال المزيد من العناصر المشاغبة الى المنطقة مشيراً الى ان اهدافهم سبقت الحرب العالمية الثانية ، ملمحاً الى تطور مهم وهو قيام تنسيق اعقبه عقد اتفاق بين تركيا وفرنسا وبريطانيا (٣) ، منوهاً الى ادراك بريطانيا خاصة لطبيعة الموقف العراقي منها وهو « موقف واضح ومقرر ومعروف يتسق والموقف البريطاني وبالتالي يحدد نوع العلاقة التي يجب ان تكون مع فرنسا حليفة بريطانيا » (٤) .

---

(١) د. ك . و : ملف رقم ٨٢٠ / ٣١١ في ١/٢٨ / ١٩٣٩

(٢) د . ك ، و : ملف رقم ٨١١ /٣١١ في ٥ / ١٢ / ١٩٣٩

(٣) في ١٩ / ١٠ / ١٩٣٩ عقدت الدول لثلاث آتفاق للتعاون المشترك حول الدفاع عن منطقة شرق البحر المتوسط .... انظر
يشير : المصدر السابق ص ٧٨ .

(٤) د . ك . و : ملف رقم ٨١١ / ٣١١ في ٥ / ١٢/ ١٩٣٩

ضمن تلك المعطيات ابدى المسؤول العراقي استغرابه من موقف فرنسا المعادي للعراق لانه موقف غير مبرر وينضم عن سوء النية من دولة يصادقها العراق وقد تتحول بفعل الحرب الى دولة حليفة (١) .

لقد ابدى المسؤول العراقي تحفظه على الموقف الفرنسي، لكنه حاول إعطاء تفسير يخفف من مرامي الفرنسيين السيئة باشارته الى ان الاجراءات الفرنسية لاتمثل الموقف الفرنسي الرسمي وانما هي نتاج مخطط من صغار الموظفين الفرنسيين او امثالهم في سوريا (٢) .

إن التحليل الصحيح (على الأرجح) لتلك المواقف والتطورات ، هو أن فرنسا تصرفت وفقاً للظروف الخطيرة التي وجدت نفسها فيها وتمثلت بالخطر الداهم عليها من المانيا وامتداد تأثيراته الى المشرق العربي ودوله وخاصة العراق المرتبط رسمياً بمعاهدة مع بريطانيا والمعادي شعبياً للحلفاء حيث كان الرأي العام اكثر ميلا الى المانيا واكثر إعجاباً بأنتصاراتها ، وكان ذلك مثيراً للقلق الفرنسي على سوريا واوضاعها ، لذلك ارادت فرنسا تحجيم الدور العراقي بتحريك قوى معادية داخلية ضده بهدف إرهاقه واشغاله وابعاده عن قضايا امته ووحدتها .

وقد حاول المسؤولون العراقيون إقناع الأتراك بان التصرفات الفرنسية المعادية للعراق ستصيب تركيا بالضرر واقتنع الدبلوماسي التركي واشار إلى استمرار السلطة الفرنسية في سوريا باسكان عناصر الشغب في حلب على الرغم من شكوى الحكومة التركية (٣) .

ولتأكيد المسعى الرسمي العراقي بشأن ذلك التصرف المعادي فقد بادرت وزارة الخارجية العراقية الى استدعاء وزير فرنسا المفوض في بغداد للحصول

---

(١) د . ك . و ، الملف السابق نفسه .
(٢) د . ك ، و ، الملف السابق نفسه
(٣) د. ك ، و ، الملف السابق نفسه

على تأكيدات منه بعدم نية بلاده إقامة منطقة معادية للعراق عند حدوده ، مع إظهار معرفة السلطات العراقية بالمسعى الفرنسي الدؤوب لجمع عناصر السوء عند الجزيرة العليا المحاددة للعراق ، والتعريف ببعضهم حيث كان منهم ، «يزيديون هاربون من العراق ،وارمن وضباط مفصولون من الخدمة ونزعت عنهم جنسيتهم العراقية . وغيرهم » (١) .

لقد ارادت السلطات الفرنسية ان توحد هذه المجموعات المختلفة الأنتماءات لخلق التوتر وزعزعة الاستقرار في العراق وتشتيت جهوده ، خدمة لاهداف ومصالح فرنسا في المنطقة ودعما لمشروعها الأستعماري الذي عملت على تقويته في المشرق العربي بما يشبه مشروع بريطانيا باقامة وطن قومي لليهود في فلسطين الذي اصبح فيما بعد وكراً دائماً للمعتدين .

ولم يترك العراق وسيلة الاسلكها لتقوية وتوحيد الصفوف املا في النجاح بمنع او وقف المخطط الفرنسي الطامع بالارض والنفط والمكانة التأريخية الحضارية ، لكن الفرنسيين استمروا في سعيهم السيء بدليل ماتحويه وثيقة اخرى صادرة عن وزارة الخارجية العراقية اوائل عام ١٩٤٠ ' حيث تشير بوضوح الى « عزم الفرنسيين على تأسيس دولة في الجزيرة العليا لاسكان العناصر المعادية للعراق من مهاجري الأرض واليزيديين والاثوريين والمسيحيين والأكراد وطبقات من البدو والأعراب » (٢) .

وفي هذه المذكرة المهمة ، أكدت وزارة الخارجية العراقية تأكيداً واضحاً مدى الأضرار التي يمكن ان تنجم عن تأسيس وضع معاد في زاوية (حدودنا الشمالية) بين العراق وتركيا وسوريا ، مثلما اوضحت استمرار الأتصالات مع الجانب التركي حيث تبين ان الموقف الرسمي التركي قائم على تفهم

(١) د . ك . و : الملف السابق نفسه ، نفس الوثيقة
(٢) د . ك . و : الملف السابق نفسه ، في ٢٥ / ١٢ / ١٩٣٩

الاجراءات العراقية الرامية الى وقف الفرنسيين عن تنفيذ مخططهم ومشروعهم واشارت المذكرة من جانب آخر الى تأكيد فرنسا ، بالطرق الدبلوماسية ، عدم سعيها لتشكيل حكومة أرمنية آثورية عند الحدود العراقية السورية مع استمرار (عطفها) فقط على الأرمن النازحين من الأسكندرونة ومساعدتهم مالياً وفنياً (١) .

ان ذلك العطف الفرنسي على الأرمن عام ١٩٤١ يذكرنا بالعطف الأنكليزي على اليهود عام ١٩١٧ والذي ورد في تصريح بلفور في وعده لليهود بوطن قومي في فلسطين ، كما ان الأرمن لم يكونوا وحدهم الذين نزحوا عن الأسكندرونة مكرهين ، وإنما نزح العرب ايضاً ؛ لكن الفرنسيين لم يظهروا (عطفهم) الا لجانب واحد فقط من النازحين .

ومرة اخرى اتجه تفكير المسؤولين العراقيين الى الأتصال بالأتراك فتم اطلاع ممثلهم الدبلوماسي في بغداد بالتطورات على الحدود مع تذكيره بالموقف الجيد لحكومته بشأن ذلك ، كما ان الحكومة العراقية أبلغت وزير فرنسا المفوض في بغداد ، قلق العراق مما يجري إعداده في الخفاء والعلن وعدم رد الحكومة الفرنسية على المذكرات العراقية على الرغم من الوعود التي قطعتها للوزير المفوض العراقي في باريس مما دعا مسؤولي وزارة الخارجية العراقية الى حث الأخير على اجراء اتصال مباشر بوزارة الخارجية الفرنسية لفهم النوايا الفرنسية إن امكن ذلك ، ومطالبة الفرنسيين بالكف عن محاولة تجميع العناصر المناوئة للعراق عند حدوده ، وتأكيد حرص العراق على العلاقات الحسنة مع فرنسا وهو ماأتضح بعد التأييد الذي اظهره العراق للحلفاء في حربهم ضد دول المحور (المانيا وحلفائها) (٢) .

على الرغم من الاتصالات العراقية ، استمرت السلطات الفرنسية في سوريا بمسعاها المناوىء للعراق فيما كشف المسؤولون العراقيون من اتصالاتهم

(١) د . ك . و الملف السابق والوثيقة نفسها
(٢) د . ك . و : الملف السابق والوثيقة نفسها

الهادئة والهادفة ، ومتابعة الاحداث وتحليلها ، وقد اوردت تقارير عراقية دبلوماسية صادرة من انقرة ، معلومات عن انشطة لعناصر فلسطينية وسورية تستهدف اغتيال عدد من الأنكليز والفرنسيين في العراق الى جانب انشطة دعائية شيوعية في الموصل وكركوك تهاجم بريطانيا وفرنسا (١) .

ولاشك ان مثل تلك الأنشطة ، لم تكن موجهة من السلطات في بغداد ، او هي جزء من السياسة العراقية ، لكنها انشطة اثارت قلق وانزعاج الفرنسيين خاصة ، وربما كانت مبرراً للسلطات الفرنسية في سوريا بتصرفها المعادي للعراق .

ظهرت في آذار ١٩٤٠ خطوة اخرى معادية للعراق من جانب الفرنسيين وتمثلت في محاولة فرنسية لانشاء (حكومة كردية) عند حدود العراق مع سوريا وتركيا ، لكن المحاولة اصطدمت بمقاومة المواطنين الاكراد ومعارضتهم لسياسة فرنسا (٢).

وخلال ربيع وصيف عام ١٩٤٠ شهد العالم تطورات مذهلة في ساحات الحرب ، كما شهدت المنطقة تصاعداً في الدور التركي انعكس في الموقف العراقي الذي بدأ جيداً ومؤثراً وسريعاً ، فقد قرر مجلس الوزراء إيفاد نوري السعيد وزير الخارجية مع ناجي شوكت وزير العدلية إلى انقرة ، بعد ايام من سقوط باريس بيد الألمان (١٤ حزيران ١٩٤٠) ، بهدف التعرف ،عن قرب ، على السياسة التركية خاصة وان تركيا ارتبطت بروابط قوية مع فرنسا وبريطانيا . كما انها ارتبطت قبل ذلك بميثاق سعد آباد (كما مر بنا) حيث كان التشاور ضرورياً وممكناً بين الموقعين عليه (٣) .

---

(١) د..ك . و : ملف رقم ٧٢١ / ٣١١ في ٢٦ / ٣ / ١٩٤٠ .
(٢) د . ك . و : ملف رقم ٨٢٠ / ٣١١ في ٩/ ٣/ ١٩٤٠ .
(٣) شير : المصدر السابق ص ١٠٤ .

وفي ٢٥ حزيران ١٩٤٠ قابل الرئيس التركي عصمت اينونو ، مبعوث الحكومة العراقية نوري السعيد فبادر الأخير الى التحدث في التأريخ والسياسة وتصوره لافاق العلاقات مع تركيا فقال « ان الحالة الطبيعية في كل ادوار التأريخ ، حتمت وسوف تحتم في المستقبل ، على تركيا والعراق وسوريا ، السير في اتجاه واحد وسياسة واحدة لحفظ كيانها ومصالحها » (١) .

في خلال ذلك كانت فرنسا في طريق السقوط والانهيار لكن حكومة فيشي (٢) لم تظهر استعداداً لتغيير السياسة الفرنسية في سوريا فضلا عن استمرار اهتمامها المتزايد بالنفط العراقي (٣) .

وبالنسبة لتركيا فان دورها المتصاعد في المنطقة بدأ يتضح بعد سقوط فرنسا ، ويشير تقرير للقنصل العراقي في اسطنبول الى قيام تركيا بمد خطين للسكك الحديدية باتجاه الموصل بهدف إضعاف التأثير الاقتصادي للخط الحديدي الفرنسي الموازي للخطين التركيين ، لكن القنصل اشار الى وجود اهداف اخرى غير اقتصادية ... مع احتمال قيام تركيا باحتلال المنطقة السورية التي تمر فيها سكة القطار التي تربط تركيا بالعراق رغم النفي الرسمي التركي لمثل ذلك العمل (٤) .

لقد اسهمت زيارة نوري السعيد لتركيا في خلق جو مريح تجاه العراق خاصة فيما يتعلق بوحدة اراضيه ، لكن تركيا ظلت تبحث عن مصالحها (مثل اية دولة اخرى) كما اهتمت بابعاد الخطر الايطالي عن سوريا ، واحتمالات استقلالها عن فرنسا حيث ان تركيا رغبت في تأمين حدودها

---

(١) د . ك . و الملف رقم ٧٢١ / ٣١١ في ٢٥ / ٦ / ١٩٤٠ .
(٢) اتخذت الحكومة الفرنسية التي وقعت شروط الهدنه مع المانيا ، من فيشي مقراً لها بعد سقوط باريس ... انظر فشر : المصدر السابق ص ٦٧٣ .
(٣) د . ك . و : ملف رقم ٧٥٣ / ٣١١ تموز ١٩٤٠ .
(٤) د . ك . و : ملف رقم ٧٢٢ / ٣١١ ١٩٤٠ .

الجنوبية بقيام دولة مستقلة (سوريا) غير انها ضعيفة ، لذلك كان موقف تركيا غامضاً وحذراً خلال اللقاء الذي تم بين عصمت اينونو ونوري السعيد(١).

وفي صيف عام ١٩٤٠ تضاءلت مسألة اقامة مجمع للعناصر المعادية للعراق عند الحدود العراقية السورية التركية ، إن لم نقل انها انهارت مع انهيار فرنسا السريع أمام المانيا ، غير ان تركيا بدأت مباحثات سرية مع بريطانيا يرجح انها كانت بشأن مستقبل سوريا ، ولم يكن موضوع سوريا العامل المهم للمسؤولين العراقيين ، لان الدعم العراقي لسوريا كان مستمراً لسنين طويلة ، وانما كان المهم الحاجة الى تثبيت الاستقرار عند الحدود مع سوريا وتركيا، لذلك تخوف نوري السعيد من احتمال وجود تفاهم سري بين تركيا وبريطانيا بشأن الموصل تمت تغطيته بالحديث عن تفاهم بشأن سوريا ، وان الأنكليز ربما اقترحوا على الاتراك احتلال الموصل ودخول الحرب الى جانب الحلفاء ضد المانيا (٢) .

ويبدو ان نوري السعيد احس بنوايا الانكليز وفهم مخططاتهم وتأكد ان محاولات الضغط على العراق سوف تشتد من قبلهم لكي يعلن الحرب على دول المحور (المانيا وايطاليا) ،وذلك بالتلويح مرة اخرى بموضوع الموصل، ولعل بريطانيا شعرت بشدة الضغط الألماني عليها بعد سقوط فرنسا . ولما كانت على دراية تامة باهمية العراق الستراتيجية بالنسبة لها، ولادراكها ان النشاط الالماني النازي قوي في العراق ، فإن من المرجح جداً ان تكون قد خططت مخططاً يجعل العراق باقيا ضمن مجموعة الحلفاء ويبتعد عن المانيا .

إن الأحداث التي تلت سقوط فرنسا ، جعلت أوربا والشرق في حالة ترقب شديد ، غير ان نتائجها كانت لصالح بريطانيا في نهاية المطاف ،لكن مايهمنا هو ان تلك الاحداث لم تؤد الى تحطيم الوحدة الوطنية للعراق وتفتيت

---

(١) د . ك . و : ملف رقم ٧٢٢ / ٣١١ في ٢١ / ١٠ / ١٩٤٠

(٢) بشير المصدر السابق ص ص ١١٢ – ١١٨ .

أرضه ، بل أدت الى وحدته ارضاً وشعباً بعكس ما كانت تريد له بعض القوى الكبرى، كما أصرت تركيا على موقفها المحايد من الدول المتحاربة، واحترام علاقاتها الجيدة مع العراق ، مما فوت الفرصة على الاعداء في استغلال الجانب التركي ضد العراق ولم نعد نقرأ شيئاً عن تحركات فرنسية مريبة ضد العراق بعد سقوط باريس، كما لم تؤد الأزمة السياسية في العراق عام ١٩٤١ وماتلاها، الى تفتيت البناء الاقتصادي والأجتماعي والفكري والجغرافي للعراق كما ارادت وخططت فرنسا عام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠ .

« نتائج البحث»

تبين لنا في ختام هذا البحث استنتاج ما يأتي :

١ ـ اهمية الوحدة الوطنية في الصمود بوجه محاولات التفتيت التي تعمل القوى المعادية على تنفيذها .

٢ ـ عدم الثقة بتعهدات الدول الكبرى التي لاتلقي بالا الا لمصالحها وترسيخ نفوذها .

٣ ـ اهمية حسن الجوار للعراق وضرورة العمل الدؤوب والهادىء لجعل العلاقات طيبة وجيدة مع دول الجوار لأن ذلك من مصلحة العراق .

نحو ما لاحظناه من التأثير الايجابي للمسؤولين في وزارة الخارجية العراقية آنذاك وتنبههم السريع لأية مخاطر بالكتابة عنها فوراً وبصورة رصينة.

« مصادر البحث»

اولا : وثائق غير منشورة محفوظة في دار الكتب والوثائق ببغداد

ملف رقم ٧٢٠ / ٣١١ تقارير المفوضية العراقية في انقرة

ملف رقم ٧٢١ / ٣١١ تقارير المفوضية العراقية في انقرة

ملف رقم ٧٢٢ / ٣١١ تقارير القنصلية العراقية في اسطنبول

ملف رقم ٧٥٣ / ٣١١ تقارير المفوضية العراقية في باريس

ملف رقم ٨١١ /٣١١ تقارير وزارة الخارجية / مديرية الأمور الشرقية
ملف رقم ٨٢٠ /٣١١ الديوان الملكي /قرارات مجلس الوزراء /وزارة الخارجية .

ثانياً : مصادر عامة

ـ احمد: ابراهيم خليل ، وخليل علي مراد : ايران وتركيا–دراسة في التأريخ الحديث والمعاصر
ـ حيدر: رستم (مذكرات) ، تحقيق نجدة فتحي صفوة (بيروت ١٩٨٨)
ـ السبعاوي ، عوني ،العلاقات العراقية التركية ١٩٣٢ ـ ١٩٥٨ (الموصل ١٩٨٦) .
ـ شوكت ، ناجي ، سيرة وذكريات ، ط ٣ (بيروت ١٩٧٧)
ـ شير : سعاد رؤوف : نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٤٥ (بغداد ١٩٨٨) .
ـ فرج : لطفي جعفر ، الملك غازي (بغداد ١٩٨٧) .
ـ فشر : هربرت ، تأريخ اوربا في العصر الحديث ،تعريب احمد نجيب هاشم ووديع الضبع ط ٦ (د . ت) القاهرة .
ـ محافظة : علي ، موقف فرنسا والمانيا وايطاليا من الوحدة العربية ١٩١٩ ـ ١٩٤٥ ط ١ (بيروت ١٩٨٥) .
ـ لواء الأسكندرونة ، بحث في مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٣ لسنة ١٩٨٣ .
ـ النعيمي : احمد نوري ، ، السياسة في تركيا الحديثة ١٩١٩ ـ ١٩٣٨ (بغداد ١٩٩٠) .
ـ هيرزويز : لوكاز ، المانيا الهتلرية والمشرق العربي ، ترجمة د. احمد عبد الرحيم مصطفى (القاهرة ١٩٦٨) .